

الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

« موج من فوقه موج »

هذه حقيقة تم الوصول اليها بعد إقامة مئات من المحطات البحرية.. والتقاط الصور بالأقمار الصناعية.. والذي قال هذا الكلام هو البروفسور شرايدر.. وهو من أكبر علماء البحار بألمانيا الغربية.. كان يقول: إذا تقدم العلم فلا بد أن يتراجع الدين.. لكنه عندما سمع معاني آيات القرآن بهت وقال: إن هذا لا يمكن أن يكون كلام بشر..

ويأتي البروفسور دورجاروا أستاذ علم جيولوجيا البحار ليعطينا ما وصل إليه العلم في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.. سورة النور: 40.

فيقول لقد كان الإنسان في الماضي لا يستطيع أن يغوص بدون استخدام الآلات أكثر من عشرين مترا.. ولكننا نغوص الآن في أعماق البحار بواسطة المعدات الحديثة فنجد ظلاما شديدا على عمق مئتي متر.. الآية الكريمة تقول: (بحر لجي) كما.. أعطتنا اكتشافات أعماق البحار صورة لمعنى قوله تعالى: ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾.

المعروف أن ألوان الطيف سبعة.. منها الأحمر والأصفر والأزرق والأخضر والبرتقالي إلى آخره.. فإذا غصنا في أعماق البحر تختفي هذه الألوان واحدا بعد الآخر.. واختفاء كل لون يعطي ظلمة.. فالأحمر يختفي أولا ثم البرتقالي ثم الأصفر.. وآخر الألوان اختفاء هو اللون الأزرق على عمق مئتي متر.. كل لون يختفي يعطي جزءا من الظلمة حتى تصل إلى الظلمة الكاملة. أما قوله تعالى: ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ فقد ثبت علميا أن هناك فاصلا بين الجزء العميق من البحر والجزء العلوي.. وأن هذا الفاصل مليء بالأمواج فكان هناك أمواج على حافة الجزء العميق المظلم من البحر وهذه لا نراها وهناك أمواج على سطح البحر وهذه نراها. فكانها موج من فوقه موج.. وهذه حقيقة علمية مؤكدة ولذلك قال البروفسور دورجاروا عن هذه الآيات القرآنية: إن هذا لا يمكن أن يكون علما بشريا.

أمهات المؤمنين

خديجة بنت خويلد

نوفل، ووكيل الرسول -صلى الله عليه وسلم- عمه أبو طالب. وكان أول المتكلمين أبو طالب فقال: «الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل وضئضئ معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا، محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به، وإن كان في المال قلاؤه فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، ومحمد مَن قد عرفتم قربته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وقد بذل لها من الصداق ما آجله وعاجله اثنتا عشرة أوقية ذهباً ونشاً -أي نصف أوقية- وهو والله بعد هذا له نيا عظيم، وخطر جليل».

ثم وقف ورقة بن نوفل فخطب قائلا: «الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت، وفضلنا على ما عددت، فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة ففضلكم، ولا يرد أحد من الناس فخركم ولا شرفكم، وقد رغبنا في الاتصال بجلبكم وشرفكم، فاشهدوا يا معشر قريش باني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله».

كما تكلم عنها عمرو بن أسد فقال: «اشهدوا علي يا معاشر

الشجرة قطّ إلا نبي».

ثم وصلا الشام وباع الرسول -صلى الله عليه وسلم- سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يُظلالنه -صلى الله عليه وسلم- من الشمس وهو يسير على بعيره، ولما قدم -صلى الله عليه وسلم- مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فربحت ما يقارب الضعف.

الخطبة والزواج

وأخبر ميسرة السيدة خديجة بما كان من أمر محمد -صلى الله عليه وسلم- فبعثت إلى رسول الله وقالت له: «يا ابن عمّ! إني قد رَغِبتُ فيكَ لقرابتك، وشِرفك في قومك وأمانتك، وحَسَنَ خَلْقك، وصادق حديثك» ثم عرضت عليه نفسَها، فذكر الرسول -صلى الله عليه وسلم- ذلك لعَمّه الحبيب الذي سُرّ وقال له: «إن هذا رزق ساقه الله تعالى إليك».

ووصل الخبر إلى عم السيدة خديجة، فأرسل إلى رؤساء مضر، وكبراء مكة وأشرفها لحضور عقد الزواج المبارك، فكان وكيل السيدة عائشة عنها عمرو بن أسد، وشركة ابن عمها ورقة بن

أم المؤمنين

«والله ما أبذلني الله خيراً منها.. قد أمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء» حديث شريف.

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية كانت تدعى قبل البعثة الطاهرة.

بداية التعارف

كانت السيدة خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال، فلما بلغها عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صدق حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبل الرسول -صلى الله عليه وسلم- وخرج في مالها حتى قدم الشام.

وفي الطريق نزل الرسول -صلى الله عليه وسلم- في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان فسأل الراهب ميسرة: «من هذا الرجل؟».. فجابته: «رجل من قريش من أهل الحرم»...

فقال الراهب: «ما نزل تحت هذه

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.. البقرة آية 186. فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا يا محمد وانت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت هذه الآية.

وقال الحسن: سببها أن قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أقرب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناديه؟ فنزلت، وقال عطاء وقتادة لما نزل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.. غافر آية 60. قال يا قوم: في أي ساعة ندعوه؟ فنزلت أي إذا سالك عبادي عن المعبود فأخبرهم يا محمد أنه قريب ينيب على الطاعة ويوجب الداعي وأنه قريب من أوليائه بالإفضال والأنعام، لقد امر الله عباده بالدعاء وحض عليه وسما عبادته ووعد بانه يستجيب لهم.

فعن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أعطيت أمتي ثلاثاً لم تعط إلا الأنبياء كان الله إذا بعث نبياً قال: ادعني استجب لك. وقال لهذه الأمة ادعوني استجب لكم. وكان الله إذا بعث نبياً قال له: ما جعل عليك في الدين من حرج. وقال لهذه الأمة: ما جعل عليكم في الدين من حرج وكان الله إذا بعث نبي جعله شهيداً على قومه وجعل هذه الأمة شهداء على الناس.

وللدعاء شروطه وآدابه حتى يستجيبه الله تعالى وأولها اجتناب الاعتداء المانع من الإجابة حيث قال في آية أخرى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ولا يدعوا الداعي باثم أو قطعية رحم وما لم يستعجل وإلا يأكل الداعي الحرام ففي الحديث: (ما بال الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأتى بستجابة له ذلك). وقد قال العلماء ان اجابة الدعاء لا بد لها من شروط في الداعي وفي الدعاء وفي المدعو به، فمن شرط الداعي أن يكون عالماً بأنه لا يقدر على حاجته إلا الله تعالى وأن الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب من قلب غافل لاه، قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب من قلب غافل لاه، وأن يكون مجتنباً لأكل الحرام، والا يمل من الدعاء.

ومن شرط المدعو فيه ان يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال ما لم يدع بإثم أو قطعية رحم فيدخل في الاثم كل ما ياثم به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم، وأما شروط الدعاء فسيعة أولها التضرع والخوف والرجاء والمرؤه والخشوع والعموم وأكل الحلال.

وقال ابن عطاء ان للدعاء أركاناً واجنحة وأسباباً وأوقات فان وافق أركانه قوي وان وافق أجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه نجح فأركانه حضور القلب والرافقة والاستكانة والخشوع وأجبحته الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله

الدعاء المستجاب



عليه وسلم وقيل شرائط الدعاء أربعة أولها حفظ القلب عند الوحدة وحفظ اللسان مع الخلق وحفظ النظر الى ما

لم يحل وحفظ البطن من الحرام. وقد قيل لإبراهيم بن أدهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال لأن قلوبكم قد ماتت. قالوا وما الذي أماتها؟ قال عشر خصال قالوا وما هي؟ قال عرفتم حق الله ولم تطيعوه، وعرفتم حق الرسول ولم تتبعوه سنته، وعرفتم القرآن ولم تعملوا به، واكلمتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الاموات ولم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس فاسخطتم ربكم وخالقكم فكيف يستجيب الله بعد ذلك لدعاكم.

والدعاء المطلوب في كل الاوقات غير أنه في بعض الاوقات اكبر ومن هذه الاوقات السجود وعند الاذان والاقامة وبينهما في السحر وعند جلوس الخطيب بين الخطبتين ويوم الجمعة وعند نزول المطر وعند التقاء الجيشين وفي الثلث الاخير من الليل وفي المرض وفي السفر وليلة النصف من شعبان وليلة القدر وفي الصيام وليلتي العيدين ويوم عرفة وهو في بعض الاماكن أجدر بالقبول في المساجد وعند قبر الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وفي الروضة الشريفة وفي المسجد الحرام وفي المسجد الأقصى وفي مقام ابراهيم وفي حجر اسماعيل وفوق عرفات.

والدعاء مقبول ولكن هناك دعوات لا يردها الله تعالى وهي دعوة الصائم حتى يظفر ودعوة المظلوم ودعوة المرء الى اخيه في طهر الغيب ودعوة الوالد لولده او عليه ودعوة الامام العادل ودعوة المسافر ودعوة الغائب للغائب ودعوة الرسل والانبياء والصالحين والدعاء باسم الله الاعظم والدعاء بالانوار من القرآن والسنة وآثار الصالحين.

والدعاء تتنوع الاجابة له فقد يعطي المرء مطلوبه وقد يرفع الله عنه به مكرها وقد يدحز له من الكرامة في الآخرة ما هو في حاجة اليه وخير دعوة هي ما ادخرها رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفاعة لامته يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله من مات لا يشارك بالله شيئاً.

ومن المواقف الایمانیة في الدعاء الماثور أن نبي الله موسى عليه السلام

كان يرعى غنم الرجل الصالح الذي استأجره (نبي الله شعيب) فنزل بها يوماً في واد يقال له وادي الذئاب، ونظر حوله فإذا بالذئاب تحيط بغنمه من كل جانب وقد أدركه التعب والنصب ولم يقو على رعيها فاتجه الى الله يدعو دعاء المضطر قائلاً اللهم أحاط سبعة علمك وسبعة تدبيرك وتفدت أرادتك وكلت حيلتي وأنت تعلم أنني مؤتمن عليها رعاها لي والقي بعصاه ونام فلما استيقظ وجد الذئاب تحيط بغنمه حتى لا تشرد منها الشاة ووجد كبير الذئاب وقد أمسك بعصاه، فقال الهي وسيدي ما هذا الذي أراه؟ فقال الله تعالى يا موسى لا تعجب مما ترى يا موسى كن لي كما أريد أكن لك ما تريد.